# العقلانية اليونانية لفهم ظاهرة الموت

## "التفسير الميثولوجي نموذجا"

**د. إبراهيم حسين إبراهيم الشريف - قسم الفلسفة - كليـــــة الآداب - جامعة بنغازي**

**الملخص**

يعتبر الموت **Death** أحد المشكلات الفلسفية العميقة التي حاول العديد من الفلاسفة سبر أغوارها ، وكشف مضامينها ، ومعرفة الكيفية التي دخل بها إلى الوجود الإنساني، وهل هو خير أم شر؟ وهل أصل الموت يكمن في المادة التي يتركب منها الجسد الإنساني أم من شيء لا نعرفه بعد؟!

ويرى الفيلسوف الموت مسألة طبيعية وليست فناء نهائياً للإنسان ولا ينبغي أن يكون كذلك كونه ينظر إلى الموضوع بنظرة الزهد والتأمل ، ولعل هذا التركيز الباطني يعد من أهم النظرات الفلسفية التي تقمصت ممارسة التفكير الفلسفي والديني في فهم الموت باعتباره أحد النواميس الكونية الأكثر شغفا للعقل البشري عبر التاريخ الإنساني وعلاقته بالخلود.

## ABSTRACT

Death is one of the deep philosophical problems that many philosiphers have tried to explore, uncover its contents, and find out how it entered human existence, is it good or bad, and does the origin of deeth lie in the substance from which the human body is made up or from something we do not know yet?!

The philosiphers sees death as a natural matter and not a final annihilation of man, and it should not be the same as he looks at the subject with a view of asceticism and medation, and perhaps this inner focus is one of the most important philosophical perspectives that embody the practice of philosophical and religious thinking in understanding death as one the cosmic norms most passionate about the human mind throughout human history. And its relationship to immortality.

### المقـــدمة

الموت **Death** ناموس من نواميس الكون ، فهو ليس شرا" في ذاته ، بل هو إحدى الحوادث التي تندرج في خطة الكون ، وقد تبين في التفسير الميثولوجي أن الإنسان هو الموجود الوحيد بين كافة الكائنات الحية الذي يعي الموت ، ويدرك محدودية وجوده ، وإذا جاز لنا القول بأن **الفلسفة Philosophy** هي تجربة حياة ومعايشة وجود ، وبحث في الأصول والغايات القصوى، فلن يكون هناك أقرب من الموت مبحثاً متصلاً بالفلسفة ، بوصفه انتقاءً للوجود

الإنساني ، ونهايته في الصورة التي ندركها في هذه الحياة التي تصير نحو الزوال، وهذا يجعلنا نطرح إشكالية البحث علي النحو التالي : –

تتمثل الإشكالية في تسليط الضوء على أصل الموت بوصفه أحد المفاهيم الرئيسية في النسق الفلسفي ، وذلك بالتعرف على آراء العديد من الفلاسفة في كشف تفسير الكيفية التي دخل بها الموت إلى الوجود الإنساني وما النظريات الفلسفية التي اعتمد عليها الفلاسفة في صياغة هذا المعنى في ظل المرحلة الميثولوجية لفهم الموت في مرحلة الأسطورة والديانات السرية؟ لا سيما عند هوميروس والديانة الأورفية وكيف تفهم الفلاسفة مسألة طبيعة الموت ، **هل هو خير أم شر على البشرية كافة؟**

## الهـــــدف من الدراسة

إلقاء الضوء علي فهم ظاهرة الموت بوصفه أحد المفاهيم الرئيسية العميقة لدرء الهوة بين ما هو إنساني، وبين ما هو إلهي، وأن هذا الخلود مقصور علي النفس لا على الجسد، وهذا ما حاولت الأساطير الإشارة إليه في معالجتها بوصفه مفهوماً فلسفياً عبر السجل التاريخي للعصور القديمة والديانات الوضعية المتعددة.

## الدراســــــــــات السابقة

هناك العديد من الدراسات التي تناولت الموت _ طبيعته وكيفية حدوثه في الكائنات بطريقة مبهمة وغير واضحة، فتسبب في خلق إشكالية يحاول الفلاسفة عبر العصور تناول أسباب وجودها في الوجود وفي الكون، وهذا ما جعلنا نحاول درء اللبس عن تفسيرها لكونها أحد الأسباب الرئيسية لتنوع الحياة، ورغم ذلك فهناك العديد من الدراسات التي تحدثت عن الموت وتناولت مفهومه بوصفه ظاهرةً تحدث ولا مناص من الإقرار بحدوثها كمسلمة في الوجود، نذكر من هذه المصادر : ـ رسالة الماجستير التي تقدم بها **الرائد الكبير عبدالرحمن بدوي لعام 1941م بعنوان " مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية " وكانت باللغة الفرنسية**، وقد اعتمد عليها **في كتابه " الزمان الوجودي "** وفي هذه الدراسة عمل عبدالرحمن بدوي علي تحديد عناصر وحدود مشكلة الموت ـ لينتهي إلى أنها في جوهرها بحث في الوجود، فالموت يقتضي الشعور بالذاتية والفردية والشخصية التي تقتضي بدورها الحرية، ومن الناحية الموضوعية نجد الوجود يقتضي بطبيعته التناهي، ما جعل الموت عنصراً مكونا للوجود، لأن الوجود جوهره الزمانية، فحيث يكون ثمة وجود فثمة موت، وتلك هي المشكلة الحقيقية للموت أي مشكلة تناهي الوجود جوهريا".

ثمت أيضا **كتاب " مشكلة الإنسان " للدكتور زكريا إبراهيم يتحدث في أحد فقراته في الفصل السادس من الباب الثاني عن الموت بجميع آراء الفلاسفة والحكماء**، ليخلص إلى نتيجة تقر بأن الموت هو الحقيقة الواضحة

والجلية في الوجود، وإنك إذا أردت ألا تخشي الموت فإن عليك أن لا تكف لحظة عن التفكير فيه، فهي ضريبة واجبة الدفع .

وقد **أشارت باسمة كيال في كتابها " أصل الأنسان وسر الوجود إلى النفس** " قائلةً:- هذه الجوهرة السرمدية الخالدة التي سجنت في جسد الإنسان منذ ولادته ! **كيف وصلت وتعلقت بهذا الجسم ؟ هل هي خالدة أم تفنى بفنائه ؟** ورداً علي هذه التساؤلات والاستفسارات التي طرقت مخيلة الإنسان وتفكيره منذ الأزل، وغاص في بحر متاهاتها تفكير وعقول كبار العلماء والفلاسفة في كل العصور : في محاولة منهم لاستجلاء معالم القدرة الإبداعية وإنارة دروب المسالك للكشف عن خلجات الذات الإنسانية ومعالم القدرة الإبداعية.

أما من **الكتب المترجمة نشير إلى كتاب " الموت في الفكر الغربي " لخالك شورون ، ترجمة : كامل يوسف حسين** . حيث يشير مؤلف الكتاب إلى موضوع الموت باعتباره موضوعاً مزعجاً لا يشجع الكثيرين علي التفكير أو الحديث إلا أن التفكير في طبيعة الموت تلهم الإنسان التفلسف، ويرى أن الموت ظاهرة حتمية عامة للإدراك الفناء _ ويعرض لنا المؤلف آراء المفكرين الغربيين في موضوع الموت ، ابتداء من الفلاسفة السابقين علي سقراط في القرن السادس ق.م حتى الفلسفة الوجودية المعاصرة _ ومن هذا العرض يتبين لنا في دراسة الموت في الفكر الفلسفي عموما" دراسة نادرة فالحكمة التي يريد الإشارة إليها المؤلف في هذا الكتاب الوصول بنا إلى فهم أن الموت تأمل للحياة وليس الفناء.

لقد قُدمت أبحاث " عامة عن مفهوم الموت فلسفيا ودينيا وعلميا ، لكنها تباينت كثيرا" من حيث الشكل، ومن حيث المضمون، ومن حيث الهدف، فليس كل ما يقال عن الموت صحيح، فكثير" من الناس ومنهم المفكرون والفلاسفة عبر العصور المختلفة حتي العصر الميثولوجي كانوا يفضلون الموت علي الفهم، وإننا إذا أنكرنا حقيقة فنائنا سنكون حينئذ أنكرنا الموت والحياة معا"، فقد أدلى مجموعة مختلفة من الحكماء والفلاسفة قبل الميلاد والحكماء والفلاسفة بعد الميلاد بآرائهم عن الموت، وكيف تساهم أفكارهم في إضاءة مواقف النقد والبحث التي يتخذها المعاصرون حول طبيعة المـــــوت.

لقد أخذنا من كل حديقة وردة لنرى أن كل العصور شغلت بالموت ورفع الموت إلى مستويات أعلى من مجرد العدم والانفصال والغياب.

## الموت مشكلة فلسفية من الدرجة الأولى

يكشف الفلاسفة عن محورية أصل الموت في البناء الفلسفي بصورة تتجاوز تحليلات غيرهم من رجال الدين، ومن بينهم أفلوطين **Plotinus** *( **205 _ 270 م**) الذي يرى أن أصل الموت إنما يكمن في المادة التي يتركب منها الجسد الإنساني، وقد دخل الموت إلى الوجود الإنساني عندما هبطت النفس إلى الجسد ، واستغرقت في شهواته.

كما يعرض هوميروس **Homeros** ** (**9–8 ق . م**) مفهومه للموت في مؤلفيه : الإلياذة والأوديسة، كون روح الإنسان تختلف عن روح الآلهة (**هوميروس_1981م**).

ويرجع **هوميروس** هذا الاختلاف إلى تباين العناصر المكونة لكل منهما (**هوميروس_1981م**). فالإنسان مركب من نفس وجسد، الجسد مكون من ماء وتراب ، ويجري فيه الدماء (**هوميروس _ الإلياذة _1981م**). والنفس هواء لطيف متحد بالجسد متشكل بشكله ، ينطلق بفساد البدن شبحاً أو ظلاً لا يحسه الأحياء (**يوسف كرم** –**1958م** ). أما الآلهة فهي مركبة هي الأخرى من نفس وجسد ، الجسد بلا دماء (**يوسف كرم _ 1958م**). ويجري في عروقه سائل عجيب يكفل له الخلود، أما روح الآلهة فلا يأتي على ذكرها !! .

وبناءً على ما سبق نستنتج أن معيار التفرقة بين روح الإنسان وروح الآلهة عند هوميروس هو معيار مادي يرجع إلى اختلاف طبيعة جسد كل منهما ، فالإنسان يجري في عروقه الدماء، أما الآلهة فيجري في عروقها سائل خاص، يكفل لها الخلود ، وبناءً على اختلاف هذه الطبيعة المادية بين الإنسان والآلهة كان الإنسان فانياً، في حين كانت الآلهة خالدة.

لهذا يحذرنا :– "أن لا نضع نصب عينيك أن تكون روحك كروح الآلهة مادام عنصر الآلهة لا يشبه بأية حال عنصر البشر الذين يسيرون على الأرض" (**هوميروس الإلياذة _ 1981م**) .

ويعني **هوميروس** – كما يبدو لنا – من اختلاف عنصر الآلهة عن عنصر البشر، اختلاف الطبيعة الجسدية لكليهما، وهذا الاختلاف يرتبط به اختلاف روح الإنسان عن روح الآلهة، وذلك لاختلاف الأجساد المتحدة بها، حيث تتحد روح الإنسان بجسد فانٍ، في حين تتحد روح الآلهة بجسد خالد. وعلى الرغم من اعتقاده أن الآلهة وحدها هي الخالدة، وأن الإنسان فانٍ، إلا أنه كان يعتقد أن الإنسان يبقى منه شيء ما بعد الموت **(2001 _ Rowe )**. فيذكر في الإلياذة : أن "المرء يظل على قيد الوجود ، في بيت هاديس **House of Hades**، روحاً أو بالأحرى شبحاً بدون حياة حقيقية" (**هوميروس الانشودة _ 23**). ويذكر في الأوديسة : أن الإنسان عندما يموت لا يبقى منه سوى .. روح تشبه الحلم أو الظل"(**روز_ 1965م**).

وهذان النصان السابقان يحملان معنيين أساسيين :–

**الأول** : أن الموت ليس فناء تماماً ، بل إنه يعني الإنتقال إلى وجود أشبه بوجود الظل أو الشبح.

**الثاني** : أن الحياة التي يحياها هذا الظل أو الشبح ليست حياة حقيقية، وإنما هي صورة باهتة للوجود (**روز_ 1965م** ). حيث لا تمارس النفس في هذا العالم السفلي أي عمل من الأعمال التي كانت تمارسها في العالم الأرضي.

## مفهوم الموت في المرحلة الميثولوجية

تعد ظاهرة الموت من أكثر حالات الإنسان غموضاً، ظاهرة ضاغطة على الوجود الإنساني برمته، ويظهر ذلك في الفكر القديم، لاسيما في الحكمة الأورفية في المرحلة الميثولوجية، التي تضمنت رموزاً وتفسيرات لظاهرة أصل الموت في الديانة **الأورفية Orphism** التي أسسها **أورفيوس Orpheus** ترى الأورفية :- أن الإنسان مكون من عنصرين متميزين : الأول الهي، وتمثله النفس، والثاني مادي، ويمثله البدن (**يوسف كرم _ 1958م**). وتقول الأسطورة عند الأورفية في أصل الموت على أن **زيوس** وهب طفله **ديونسيوس** (ابنه من ابنته **برسيفوني Persephone** * السلطان على العالم) . فغارت **هيرا Hera** ** زوجة **زيوس**، وألّبت عليه طائفة من الآلهة الأشداء هم **التيتان Titans** *** فكان **ديونسيوس** يستحيل صوراً مختلفة ويردهم عنه ، إلى أن انقلب ثوراً فقتلوه وأكلوه (**يوسف كرم _ 1958م**) . وعندما علم زيوس بهذه الجريمة ، أنزل عقابه على التيتان ، إذ سلط عليهم الرعد فصعقهم، ومن رمادهم **خلق زيوس الجنس البشري** ( **Baarenvan_1987**). وهذه الأسطورة الأورفية تحتمل أكثر من تفسير لأصل الموت، فيمكن أولاً : أن نرجع أصل الموت عند الأورفية وسبب دخوله إلى الوجود الإنساني إلى موت أحد الآلهة أولاً **(Baarenvan_1987)**. – أي الإله ديونسيوس – فلأن هذا الإله قد مات أولاً، فإنه يجب على الإنسان أن يكابد الموت هو الآخر.

ويمكن ثانياً أن نرجع أصل الموت عند الأورفية إلى الصراع بين الآلهة :- زيوس من جانب والتيتان من جانب آخر، الذي انتهى بمقتل التيتان على يد زيوس، وخلق الإنسان من رمادهم **(Baarenvan_1987)**.

ويمكن ثالثاً أن نرجع أصل الموت عند الأورفية ودخوله إلى الوجود الإنساني إلى الخطيئة التي ارتكبها الإنسان **( Meyer Marvin_1986)**، ونعني بها تذوق التيتان لحم ديونسيوس، ومن التيتان نشأ الإنسان.

## الموت والخلود

يرى الأورفيون أن للإنسان طبيعة مزدوجة، فهو من ناحية يحمل عنصر التيتان وهو البدن، وهو من ناحية أخرى يحمل عنصر ديونسيوس الإله الخالد، وهو النفس **( Meyer Marvin - 1986)**، والبدن فانٍ والنفس خالدة، أما إن البدن فانٍ، فذلك لأنه من مادة التيتان الفانية، وقد عبرت أحد التراتيم الأورفية عن ذلك المعنى، فنقول

: "أيها التيتان .. يا أجداد آبائنا .. منكم خرج الفانون :- مخلوقات السماء والأرض، والبحر، والطيور، ومخلوقات هذا العالم جميعا **(Meyer Marvin – 1986)**، وأما أن النفس خالدة فذلك لأنها من عنصر ديونسيوس الإله الخالد ابن زيوس العظيم (**يوسف كرم _ 1958م**)، والبدن سجن النفس، وقد سجنت النفس بداخل البدن عقاباً لها على إثم ارتكبته (**أحمد الاهواني – 1948م**)، وهو تذوق التيتان للحم ديونسيوس ( **يوسف كرم _1958م**، والبدن ليس آلة النفس ولكنه سجنها وقبرها، ولا يحق للنفس أن تهرب من سجنها بالانتحار، بل يجب عليها أن تبقى مع البدن حتى تستكمل مدة العقوبة المفروضة عليها ( **أحمد الاهواني _ 1948م** ) ولهذا عدت الأورفية الانتحار كفراً، ذلك لأنه عدول عن الامتحان، ومن ثم عن الثواب **(Meyer Marvin -1986)**، وترى الأورفية أنه عندما تنتهي وقت النفس المفروض عليها داخل البدن فإنها تفارقه، وعندما تفارق النفس البدن عند الموت، فإنها لا تبلغ مقرها في الحال، وإنما يروى أن النفس سوف تذهب إلى ينبوعين :- أحدهما إلى اليسار، وهذا الينبوع يجب تجنبه، لأنه ماء النسيان، تشربه الأنفس التي سوف تعود إلى هذه الدنيا. أما الينبوع الذي إلى اليمين فهو الذي تشرب منه النفس هو الذاكرة، وإلى جانبه حراس تتوجه إليهم النفس لتصل بينها وبين الآلهة، قائلة :- إنني أموت عطشاً ، هبني ماءً زلالاً من بحيرة الذاكرة **(Meyer Marvin _1986 )**، وعندئذ يسألها الحراس :- "من أنت ومن أين أتيت ؟ فتجيب: أنا ابنة الأرض والسماء، ولكن أصلي من السماء" ( **أفلاطون _ 1970م**). وحينئذ يسمح للنفس بالشرب من الماء، فتتذكر أصلها الإلهي، وهنا تسمع من يقول لها :"مرحباً بالنفس السعيدة .. ستكونين إلهاً خالداً .. لا بشراً فانياً" ( **أحمدالأهواني -1954م** ).

ولعل النصوص الأورفية هذه إذا دلت على شيء فإنما تدل على أن مفهوم الثواب والعقاب الأخروي لديهم يرتبط بسلوكيات الناس الحياتية، وبمدى قربهم أو بعدهم عن السلوك الفاضل.

ويرى الفلاسفة أن الموت عملية طبيعية ودوريةً ، وذلك لأنه يعتري الجنس البشري بصفة مستمرة، ويظهر هذا الاعتقاد واضحاً لدى **هيراقليطس (Heraclitus 475_535ق.م)** في الشذرة التي تقول: – "حين يولدون يرغبون في الحياة وفي لقاء مصيرهم (**الموت**)، ويخلفون وراءهم أبناء يلقون مصيرهم بدورهم" (**أحمد الأهواني -1954م** ).

وهذه الشذرة تشير إلى دورة الحياة والموت، فالإنسان عندما يولد يقبل حقيقة مجئ الموت ( **أحمدالأهواني _ 1954م**) ، ومع ذلك يسير في الحياة برغبة جامحة كما لو لم يكن هناك موتاً، على الرغم من أن الموت جزء حقيقي من وجوده (**جاك شورون _ 1984م**) . وعندما يلقى الإنسان مصيره (**أي الموت**) فإن هناك إنساناً آخر يأخذ مكانه ثم يلقى نفس مصيره، وهكذا يستمر دوران الحياة والموت، والموت والحياة.

إن النفس عند **هيراقليطس** ليست خالدة ، كما أنها ليست فانية، ولكنها بالأحرى تتحول من حالة إلى أخرى، وأن التغير لا يعتري النفس فقط وإنما يعتري نمط إدراكها(**جاك شورون _ 1984م**) أيضاً، وأن هذا الإدراك

يختلف باختلاف نمط الوجود الذي يتبع صدمة الموت، بمعنى يتقبل تسهيل الموت باعتباره حدثاً طبيعياً وضرورياً، وذلك من خلال إدراك الصراع، أي توتر الأضداد ومن بينها توتر الموت والحياة، هو ما يجعل العالم كلاً متماسكاً، بالإضافة إلى ذلك فإنه يصل بالموت إلى حده الأدنى بالإصرار على أن التغيرات كافة هي تغيرات ظاهرية فحسب، وأن الموت ليس توقفاً مطلقاً لا يعكس، وإنما هناك وحدة للموت والحياة لا تعني فحسب أن الحياة تموت، وإنما كذلك أن الموت يولِد الحياة، ولأن كل شيء يتدفق ويتغير على وجه الدقة فإن الموت ذاته ليس نهائياً، ذلك لأن النفس جزء من النار التي تتحول وتتغير بصورة مستمرة إلى الأشياء جميعاً، ثم تتحول هذه الأشياء مرة ثانية إلى النار، وهكذا فإن مبدأ "العود الأبدي **Eternal Return of Everything** " * بمعنى من المعاني رد **هيراقليطس** على الموت ( **أفلاطون** _ **1994م**).

## سر وجود النفس داخل البدن

يرى **أفلوطين** أن حرية النفس في هبوطها إلى الجسم، لا تتناقض مع ضرورة هبوطها، فالمرء لا يتوجه إلى الأسوء إلا كرهاً، ولكنه لما كان يتوجه إليه بحركته الخاصة ففي وسعنا أن نقول: -إنه يتحمل عقوبة ما اقترفه"، وهنا يوفق **أفلوطين** بين قوله بحرية النفس في الهبوط وبين ضرورة هبوطها عند أفلاطون في **طيماوس** . ( **أفلاطون** _ **1994م**).

ثم يستطرد **أفلوطين**، فيقول: – ".. وما دام الموجود الذي يضم إلى الجسد بهبوطه من المجال الأعلى يلبي عند وصوله حاجات موجود آخر، فإن المرء لا يكون متجنباً على نفسه أو على الحقيقة حين يقول أن الله هو الذي أرسله" (**أفلاطون** _ **1970م**).

وهنا يشير **أفلوطين** إلى النفس، كما لو كانت أشبه برسول إلهي، أرسله الله إلى الجسم لكي يؤدي عملاً ما ؟!، يرى **أفلوطين** أن مهمة النفس عند هبوطها إلى الجسد هي إحيائه، فالنفس بفضل قوة وجودها تسود الأجسام وتولِدها، فهي إذن تحيي الأشياء التي لا تملك الحياة بذاتها، وتضفي عليها حياة شبيهة بحياتها هي، وهي إذ تحيا في العقل، تهب الجسم مبدأ عاقلاً، هو صورة لما لديها من عقل وكل ما تضفيه على الجسم صورة من حياتها (**أفلاطون** _ **1970م**).

ويرى **أفلوطين** أن باقتران النفس بالجسم: "يصلح الجسد إذ يمد بالحياة، وتفسد النفس إذا اشتركت في الموت" (**أفلاطون** _ **1994م**)، فكيف يكون ذلك، وما تفسيره عند أفلوطين؟ .

ويرى أفلوطين أن الموت بوصفه أحد الحوادث التي تحدث بالعالم، يخضع لضرورة صارمة ويخضع لنظام وضعه عقل واحد، فكل أمر في هذا العالم منظم سواء في ذلك هبوط النفس وصعودها (**أفلاطون** _ **1970م**).

فلا يوجد شيء يسير اعتباطاً، بل أن لكل شيء علة، وكل شيء محكوم بنظام، وهذا النظام يمتد إلى كل صغيره وكبيرة (**أفلاطون _ 1970م**)، ويستعير أفلوطين من الرواقية توصيفها للحياة بالدراما: فيقول: "فكما أن الشاعر في الدراما يوزع الأدوار على الممثلين بين يديه، فكذلك الأمر في العالم العلوي، فإن النفس هي التي تكون الممثلة، وإنما لتتلقى أدوار تمثيلها من الصانع (أي العقل)، وكما يتلقى الممثلون على المسرح أقنعتهم وأزيائهم الفخمة منها والبالية، فكذلك أيضاً تتلقى النفس ما قسم لها، وذلك .. وفقاً لما يقضيه العقل، وإذا انسجمت النفس مع ما قسم لها، تم التوافق بين الطرفين واندرجت هي في تصميم الدراما، وفي نظام العقل الكلي (**أفلاطون _ 1962م**).

## عمق التحليل الفلسفي في إثبات أزلية النفس الإنسانية

يتحدث إلينا **أفلاطونPlato** (**427**_347 **ق .م**) في محاورة فيدون عن حوار دار بين **سيلبيس وسيمياس** مع سقراط حول إثبات أزلية النفس مستشهداً بعدة أدلة منها:- دليل تعاقب الأضداد الذي قال في شأنه **سقراط Socrates**(**469_399 ق .م**) موجهاً كلامه إلى **سيلبيس** ".. ألست تقول: إن الحياة ضدها الموت، هذا ما أقوله، ثم ألا يتوالدان الواحد من الآخر؟ نعم. الذي ينشأ عن الحي ما هو؟ فقال: -إنه الميت – ثم والآن ما الذي ينشأ عن الميت؟ فأجاب **سيلبيس** – هو الحي – وعلى ذلك، ألا ينشأ عن الأشياء الميتة .. الكائنات الحية؟ هذا واضح جداً – فقال أي (**سقراط**) : أليست نفوسنا إذن موجودة عندها هاديس ؟ - من المرجح ذلك" ( **جيمس . ب .كارس _ 1998م**). لكن سقراط أسترسل قائلاً: إذا كان الحي يخرج من الميت، فإنه لا يمكن إذن للنفس أن تتبدد (**عبدالرحمن بدوي _ 1944م**) . لكن **سيمياس وسيلبيس** لم يقتنعا، وطلبا من سقراط المزيد من الإيضاح، فقدم لهما الدليل الذي مؤداه : إن ما يفسد ويتحطم هو المركب من أجزاء، أما البسيط فلا يمكن أن يقبل ذلك، لأنه عديم الأجزاء ولا يقبل التجزئة، ونحن نجد النفس تتعقل المثل وتدركها، ولما كان الشبيه هو الذي يدرك الشبيه فلابد أن تكون طبيعة النفس من جنس طبيعة الشيء الذي تعقله، أي من جنس طبيعة المثل، ولما كانت المثل بسيطة فالنفس إذن بسيطة، وإذا كانت النفس بسيطة فهي لا تقبل التحطم أو الانحلال، إذن فالنفس لا يجري عليها الفساد، فهي إذن أزلية أبدية (**عبدالرحمن بدوي _ 1944م**)، ويستند هذا الدليل إلى مقدمتين أساسيتين ونتيجة :- الأولى : أن الشيء يمكن أن يتحطم إذا كان مكوناً من أجزاء، الثانية : إن النفس ليس لها أجزاء، أما النتيجة فهي أن النفس لا يمكن أن تتحطم، ومن ثم فهي غير مادية ولا تفنى ولا تفسد (**عبدالرحمن بدوي _ 1944م**)، ثم يتبع سقراط أدلته بقوله : إن كل تغير فهو انتقال من ضد إلى ضد، أي أنه يجري بين طرفين، ولكن هذا التغير لا يجري في اتجاه واحد، بل يجري في كلا الاتجاهين، فإذا انتقل من الطرف (أ) إلى الطرف (**ب**)، فلابد أيضاً أن ينتقل من الطرف (**ب**) إلى الطرف (أ) (**مُحَمَّد غلاب _ 101**)، فإذا طبقنا هذا المبدأ على الحياة والموت، وهما متضادان وجب أن يكون هناك تغير دائم من كل من الحالتين إلى الأخرى، أي من الموت إلى الحياة ومن الحياة إلى الموت، وليس كما تصور لنا التجربة الحسية أنه دائماً من الحياة إلى الموت، إذ لو انتهت الحياة بالموت لانقضت الحياة تماماً ( **أحمد الاهواني _ 1954م**).

ويتبع هذا أن لا يكون الموت عدماً مطلقاً، مادامت النفوس تبقى لتحقيق هذا التغير الدائم وهو الانتقال من الحياة إلى الموت، ومن الموت إلى الحياة، وهذا دليل على أن نفوس الموتى لا تفنى، وأنها مصدر لنفوس الأحياء (**أفلاطون _ 1994م**).

## عدمية الجسد على بساط الفكر الفلسفي

يرى **أفلاطون Plato** أن على الإنسان أن يحقق التناسق المناسب للجسم، وذلك من خلال ممارسة الألعاب الرياضية لتطهيره وخلق الصحة (**أفلاطون _ 1994م**)، والسؤال هنا: هل إذا استطاع الإنسان أن يحقق التناسق المناسب لجسمه أن يتجنب الموت؟، يرى أفلاطون أن "كل فرد يأتي إلى العالم له مدة من الحياة محددة، وإنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يطيل أمد حياته"(**أفلاطون _ 1944م**)، ومعنى هذا أن الموت عند أفلاطون سواء أكان طبيعياً أم كان غير طبيعي فإنه في كلتا الحالتين أمر لا مفر منه ولا يمكن تجنبه.

ويرى **أفلاطون** أن البدن عندما يتعرض للفساد فإن أوصاله تبدأ في التفكك، ويترتب على ذلك تفكك أربطة النفس المتصلة به، فتطير هذه النفس بعيداً بفرح لحصولها على العتق (**أفلاطون _1944م**)، ويميز أفلاطون بين النفس والبدن من حيث الأصل، فيرى أفلاطون أن أصل النفس يختلف عن أصل البدن، فالنفس ذات أصل إلهي، لا مرئية (**أفلاطون _ 1962م**)، تمتلك عقلاً، وغير قابلة للانحلال (**أفلاطون _1994م**). وهذه النفس قد صنعها الإله صانع الكون أو الـ **Demiurge** من بقايا النفس الكلية (**أفلاطون _1994م**) .. أما البدن فقد تولى صنعه الآلهة، وقد صنعوه من العناصر الأربعة، هي: الماء والهواء والنار والتراب (**أفلاطون _1994م**)، وهي أجسام مرئية (**أفلاطون _1994م**)، وعرضة للانحلال والتبدد (**أفلاطون _ 1962م**)، ويرى **أفلاطون** أن الآلهة قد بنت هذا البدن حول النفس ليكون مركباً لها، وأن هذا البدن من طبيعة فانية (**أفلاطون _ 1962م**).

لكن ما يُعجز العقل البشري عن الاستيعاب والفهم هو :-**هل طبيعة النفس حياة في جوهرها أم إن الحياة مجرد خصيصة من خصائصها** ؟ فإذا كانت النفس تمتلك الحياة في جوهرها، فإنه سيكون من السهل علينا أن نتصور أن النفس عندما يأتي الموت، فإنها ستفر من البدن دون أن تكابد هي نفسها الموت. أما إذا كانت النفس لا تمتلك الحياة في جوهرها، ولكن الحياة هي شيء تحمله معها عندما تحل بالبدن، كالحرارة التي تحملها النار للموقد، فإنه عندما يأتي الموت ويفسد البدن ستفقد النفس خاصية الحياة، ولن يبقى سوى بدن غير ذي حياة، تماماً كما يفقد الموقد الحرارة لانطفاء النار (**أفلاطون _ 1962م**).

إضافة إلى ما سبق فإن دفع **أفلاطون** بأن النفس تحمل معها الحياة للبدن (**أوغسطين _ 1978م**) إنما يشير إلى وظيفتها الأساسية ألا وهي الإحياء، فإذا ما مات البدن انفصلت النفس عنه، النفس تبقى والبدن يحل به الفناء

والتحلل، فإذا كان الأمر كذلك، فما الشيء الذي سوف تحييه النفس عندما ترحل عن البدن وترتحل إلى العالم الآخر؟ **(M.R .M _1990 )**.

من الواضح هنا أن النفس بعد الموت، وانفصالها عن البدن ستفقد إحدى وظائفها الرئيسية، ألا وهي إحياء البدن، ولن يبقى أمامها سوى تأمل المثل في العالم الآخر.

## الخاتمة

لم يفرض الله طبيعة الموت سنة طبيعية عندما خلق الوجود، بمعنى إن الله لم يخلق الموت للإنسان، إنما سبب دخوله إلى الوجود الإنساني هو الإرادة الحرة للإنسان الذي بموجبها منحه القدرة على الاختيار بين الخير والشر فهو على الدوام يتوق إلى أن يكون أكثر مما هو، وبهذا نجده يفقد حقاً من كان يجد فيه ضالته، وبهذا يكون قد فضل نفسه على الله، وعصى الله بمليء حريته.

بهذه الإرادة حاول التشبه بالله وتجاوزاً لحدوده ووجوده الإنساني بوصفه مخلوقاً يعتمد في وجوده الأساسي على الله لا على ذاته، فكان الجزاء من جنس العمل الذي اقترن بعقاب إلهي مستحق الموت مقابل تمثل في الخطيئة الكبرى في محاولة من الإنسان تخطي هذه الحدود ورفض التبعية لله، من هنا عوقب بدخول الموت إلى التركيبة الجسدية لمكوناته العضوية ووظائفه كافة، فالموت إذن كان مصدره قراراً حراً اتخذ من قِبل الإنسان بإرادته هو لا بإرادة أحد، ومن ثم إلى جميع البشر إذا أخطأ الجميع، وهذا ما لم ننجو منه (**الخطأ**).

هذا ما أجمع عليه صفوة العقول من فلاسفة وعلماء ورجال دين، مع تباين وجهات النظر في تبيان هذه الحقيقة ألا وهي كيفية تسلل الموت إلى الوجود الإنساني.

* * * * * * * * * * * * * * * *

## الهـــوامش العـــامة

*أ**فلوطين** ( **205 _ 270م**) عاش في القرن الثالث بعد الميلاد. وقد كتب أفلوطين أربعة وخمسين رسالة جمعها تلميذه **فورفوريوس Porphyry** بعد وفاته، ورتبها وقسمها إلى ستة أقسام، ووضع في كل قسم منها تسع رسائل، من هنا عرفت أعمال **أفلوطين** "بالتاسوعيات **Enneads**" . وتختص التساعية الأولى، فالإنسان، أما الثانية والثالثة، فتهتم بدراسة العالم الحسي، والرابعة، تختص بدراسة النفس، والخامسة، تدرس العقل، والسادسة، تبحث في الوجود الدائم أو العالم العلوي.

**هوميروس ( 8 _9 ق.م) شاعر يوناني ، عاش في الفترة ما بين القرن الثامن والقرن السابع قبل الميلاد، ومن أهم أعماله : **الإلياذة والأوديسة** . أما الإلياذة فتدور أحداثها حول حرب طروادة **Trojan War** في حين تدور أحداث الأوديسة حول عودة **أوديسيوس Odysseus** بعد سقوط طروادة إلى وطنه إيثاكا **Ithaca**. معظم الدراسات الحديثة ترجح أنه أعمى.

انظر، **حسين الشيخ**: اليونان، **دار المعرفة الجامعية**، الإسكندرية، (د.ت)، ص 182-183.

انظر **لطفي عبد الوهاب يحي**: اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، **دار المعرفة الجامعية**، الإسكندرية، (د.ت)، ص 228.

*وتسمى أيضاً **كورا**، ويسميها الرومان **ليبيرا**. وهي ابنة **زيوس وديميتر**، وزوجة **هاديس أوبلوتو**، وتعتبر ربة الموت لأنها ملكة العالم السفلي وربة الإخصاب لأنها ابنة ديميتر. كان يجمع بينها وبين ديميتر عند العبادة لأنهما كانا من أبرز الشخصيات في الأسرار الإليوسينية.

انظر: **أمين سلامة**: معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، **مؤسسة العروبة للطباعة والنشر والإعلان**. القاهرة، ط 2، 1988م، ص 122.

**ابنة الإله **كرونوس** من زوجته **ريا** وشقيقة كبير الآلهة **زيوس** وزوجته، وهي إلهة النساء، وحامية الزواج، والساهرة على قدسية ومتانة العلاقات الزوجية وراعية ميلاد الأطفال، وملكة آلهة السماء. وأكثر الزوجات غيره في الميثولوجيا اليونانية.

انظر: **إمام عبد الفتاح إمام**: معجم ديانات وأساطير العالم، **مكتبة مدبولي**، القاهرة، مج 3 (د.ت)، ص 123.

***موجودات عملاقة كانت في البدء في الأساطير اليونانية – أبناء **أورانوس** (السماء)، وجيا (الأرض). من أشهرهم: **أوقيانوس، وثيا، وكيريس، وبرومثيوس وأطلس** وكان **كرونوس** – قائدهم – قد خلع والده **أورانوس** عن العرش وخصاه. وقد قام ابنه **زيوس** بدوره – بخلع **كرونوس** عن العرش، فاشتعلت الحرب بين جميع التيتان باستثناء **أوقيانوس** ضد **زيوس**، وانتهت بانتصار **زيوس** وهزيمة التيتان، انظر المرجع السابق، مج 3، ص 326.

*نظرية رواقية مأخوذة عن **هيراقليطس** تقرر أن العالم لا يفنى بعد احتراقه، وإنما يعود بعد آلاف السنين لما كان عليه من قبل، ويبدأ عالم جديد تمر به الأحداث السابقة عليها.

انظر: **مراد وهبة** : المعجم الفلسفي، **دار الثقافة الجديدة**، القاهرة، ط 3، **1979م**، ص 293-294.

**أورفيوس** : هو بطل أسطوري من الأبطال الخارقين، فهو كاتب ونبي و موسيقى في الأساطير الإغريقية والرومانية، كانت موسيقى صوته وقيثارته _ حسب زعمهم _ من العذوبة بحيث كانت تتبعه الحيوانات والاشجار والأحجار، وتتوقف الأنهار علي الجريان كي تستمع إليه، وأمه كانت إلهه الغناء كاليويه _ كما يزعمون _ ووالده الرحال **أوباجروس** أو الإله أبولو، كما تقول الأسطورة.

## الهـــوامش

1. **هوميروس**: الإلياذة، ترجمة: **أمين سلامة، دار الفكر العربي**، القاهرة، ط 2، 1981م، الأنشودة الخامسة، ص 186.
2. المصدر نفسه، ص 186.
3. المصدر نفسه، ص 184.
4. **يوسف كرم**: تاريخ الفلسفة اليونانية، **مطبعة لجنة التأليف والنشر**، القاهرة، **1958م**، ص 3.
5. المصدر نفسه، ص 184.
6. **هوميروس**: الإلياذة، ترجمة: **أمين سلامة، دار الفكر العربي**، القاهرة، ط 2، 1981م، الأنشودة الخامسة، ص 186.
7. Rowe William L. , "Philosophy of Religion" , 3rd Ed , Thomson Learning , Inc . , Canada , 2001 , P.134.
8. **هوميروس**: مصدر سابق، **الأنشودة الثالثة والعشرون**، ص 473.
9. **روز (هـ . ج)**: الديانة اليونانية القديمة، ترجمة: **رمزي عبده جرجس**، سلسلة الألف كتاب، العدد (569)، **دار نهضة مصر، 1965م**، ص 33.
10. **يوسف كرم**: تاريخ الفلسفة اليونانية، **مطبعة لجنة التأليف والنشر**، القاهرة، **1958م**، ص 33.
11. **يوسف كرم**: تاريخ الفلسفة اليونانية، **مرجع سبق ذكره**، ص 7.
12. **المصدر نفس**، ص 7.
13. **Baaren Van** , "Death" , In The Encyclopedia of Religion , vol. 4. , Ed , By , **Mircea Eliade** . **Macmillan Pub**. , com . , New York 1987 , p. 257
14. **Baaren Van** , op. , cit , pp. 253 – 254 .
15. **Ibid** , P.254 .

16. **Meyer Marvin W.**, "The Ancient Mysteries" , **University of Pennsylvania Press** , U.S.A. , 1986 , pp. 105 – 106.

17. **Ibid** , P.106 .

18. **Ibid** , P.106 .

19. **يوسف كرم**: تاريخ الفلسفة اليونانية، **مطبعة لجنة التأليف والنشر**، القاهرة، **1958م**، ص 7.

20. **أحمد فؤاد الأهواني**: في عالم الفلسفة، **مكتبة النهضة المصرية**، القاهرة، **1948م**، ص 14.

21. **يوسف كرم**: مرجع سابق، ص 8.

22. **أحمد فؤاد الأهواني**: في عالم الفلسفة، **مكتبة النهضة المصرية**، القاهرة، **1948م**، ص 16. 17.

23. **Meyer Marvin** W., op., cit, P.101.

24. **Ibid** , P.101 .

25. **أفلاطون**: محاورة جورجياس، ترجمة: **مُحَمَّد حسن ظاظا**، **الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر**، **1970م**، (493ج)، ص 102.

26. **أحمد فؤاد الأهواني**: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، **دار إحياء الكتب العربية**، القاهرة، ط 1، **1954م**، ص 106.

27. **المصدر نفس**، ص 106.

28. **المصدر نفس**، ص 107.

29. **جاك شورون**: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: **كامل يوسف حسين**، مراجعة وتقديم: **إمام عبد الفتاح إمام**، **سلسلة عالم المعرفة**، العدد 76، الكويت، **1984م**، ص 228.

30. **المصدر نفس**، ص 228.

31. **أفلاطون**: محاورة طيماوس، ترجمة: **شوقي داود**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، **1994م**، ص 427.

32. **المصدر نفس**، ص 427.

33. **أفلاطون**، التاسوعيات الرابعة في النفس، دراسة وترجمة: **فؤاد زكريا**، **الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر**، القاهرة، **1970م**، ص 362.

34. **المصدر نفس**، ص362.

35. **أفلاطون**: محاورة طيماوس، مرجع سابق ذكره، ص 501.

**36. أفلاطون**، التساعية الرابعة في النفس، مرجع سبق ذكره، ص 376.

**37. نفس الصفحة.**

**38. أفلاطون**: محاورة فيدون، ترجمة وتعليق: **نجيب بلدي، علي سامي النشار، عباس الشربيني، (دار المعارف، مصر، 1962م)**، ص47.

**39. جيمس ب. كارس** : الموت والوجود، ترجمة : **بدر الديب، (المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ، 1998م)**، ص 26.

**40. عبد الرحمن بدوي**: أفلاطون، **مكتبة النهضة المصرية**، القاهرة، **1944م**، ص 195.

**41. المصدر نفس**، ص 195.

**42. عبد الرحمن بدوي**: المصدر نفسه، ص 194.

**43. مُحَمَّد غلاب**: الخصوبة والخلود في إنتاج أفلاطون، سلسلة مذاهب وشخصيات، العدد 101، **الدار القومية للطباعة والنشر**، (د. ت)، ص 141.

**44. أحمد فؤاد الأهواني**: أفلاطون، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، العدد (5)، **دار المعارف**، مصر، (د. ت)، ص 95.

**45. أفلاطون**، محاورة طيماوس، ترجمة: **شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع**، بيروت، **1994م**، ص 493.

**46. أفلاطون**: محاورة طيماوس، ص482.

**47.المصدر نفسه**، ص 427.

**48. المصدر نفسه**، ص 434.

**49. أفلاطون**: محاورة فيدون، ص 64.

**50. أفلاطون**: محاورة طيماوس، ص 427.

**51. المصدر نفسه**، ص 429.

**52. المصدر نفسه**، ص 434.

**53. المصدر نفسه.**

**54. أفلاطون**: محاورة فيدون، مرجع سبق ذكره، ص 113.

**55. المصدر نفسه**، ص 113.

**56**. **المصدر نفسه**، ص 114 – 115.

**57**. **أوغسطين**: المعلم، ضمن (نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط)، ترجمة وتعليق: **حسن حنفي حسين**، **مكتبة الأنجلو المصرية**، القاهرة، ط 2، 1978م، ص 91.

**58**. M.R.M. , "Augustin" , in The Encyclopedia of Christianity . Ed by. Michacl P. Mchugh. St. James Press . U.K. , 1990 , P.122.

* * * * * * * * * * * * * * * *